محمد السباعي

## الشقي أبو جلدة: قبل الدكتور زكي مبارك

**إبراهيم عبد القادر المازني**

**جريدة البلاغ**

**أبريل ١٩٣٤ ١٥**

أستأذن صديقي الدكتور طه حسين في حيدان جديد عن محجة الواجب الذي تفرضه العلماء — غيري — فما للأطفال الكبار، من أمثالي، صبر على الأمانة التي يحملها أمثالي أيضًا، طاقة على الوعور والحزون، الجد الصارم، ولا للجهال المساكين، من كان الله في عونهم، وحمانا والحفر والنقر، التي يعانيها السائر على درب العلماء، اللجج مزالق البحث، ولا ورّطنا في مآزق التحقيق، ولا كتب علينا الغرق في هذه الراغية! وهبنا لا نغرق في هذا البحر العظيم؛ فهل يدخل في طوق سمكة صغيرة أن مهولًا؟ وماذا يكون من أمري إذا بلعني الحوت وألقاني في جوفه تغاطس حوتًا قويًا متين الأسر فوسعه أن يقاوم ويناضل — المظلم؟ لقد كان يونس — عليه السلام وكرمه وقدرته، فخرج سالمًا وينافح في بطن الحوت، حتى أنجاه الله سبحانه بفضله بعض غير مهضوم، أما أنا فلست بنبيّ ولا أعرف لي كرامة، وهب لي كرامة في قومي، فأي كرامة لي عند الحيتان؟ وآه من معدتها حين تقبل عليّ وتقلِبني كما يقلب نار الشواء، وتذيب جلدي الرقيق، وتطحن عظامي الهشة، وتُفنِي مني الخروف على كنت قبل أن يستدرجني أبواي — عفا الله طبقة بعد طبقة، فأرتدُّ غير شيء كما الأنبياء، وأجمها عنهما — إلى هذه الدنيا التي تغص بحارها بالحيتان التي تبلع بالسباع الجائعة، وبقيتها بالكلاب النابحة والحمير الناهقة.

وفي مرجوي أن لا يتبعني الدكتور طه في هذه المرة، فقد جشّمني تعقُّبُه لي مشقة نصبًا كثيرًا وبلاءً عظيمًا، وأخجلني فقرأت كتابًا طويلًا عريضًا؛ وعناءً، وحمّلني وتحطّم رأسي، فأنا بالراحة خليق وبأن فورمت عيني، ونحل جسمي، ونشف دمي، إمهاله لي، حتى أستجمّ حقيق، وقد ضمنت حلم الدكتور زكي مبارك ووثقت من تثوب روحي التي كادت تزهق، وتنتظم أنفاسي التي بهرها الجري وراءه في هذه والموامي، ويا ما أقدره على العَدْو، وأبرعه في الوثب، وأعرفه بالمسالك الفيافي

ويا ما أثبت رجله فوق الصخور المشرفة على !والمخارم والدروب والمضايق العرج؛ فإن لي رجلًا واحدة أطلع المهاوي، وأحذق قدمه في مواطن الزلل! وقاتل الله واحدة منهما بها، وله رجلان سليمتان يستقيم عليهما، ويضرب بهما، وتسند كل أختها، وما عسى صبر ذي العرج على جري السليم!! فهو خليق أن ينظرني حتى وأفيق، وأحب أن أضمن من الدكتور طه إغضاءه عن توثُّبي، وانجرافي أبلع ريقي في حزونه بعرجي وضعفي عن الطريق الذي يحتم عليَّ أن أضرب.

ثم إني مُزمع أن أطير — في هذا المقال — إلى فلسطين؛ فقد ورد عليَّ منها أن «أبا عليه الشرطي هناك وهو نائم في كهف في جبل أشم، من جبال نابلس، جلدة» قبض عقل لزكي مبارك أو «النثر الفني»، وكيف فحزنت عليه وأسيت له، ولم يبق لي و«النثر الفني» حر !!يسعني أن أفكر في «النثر الفني» و«أبو جلدة» عانٍ أسير له، طليق، ينعم بالهواء والقبول والرضى والحمد، وقد أثنينا عليه ببعض ما هو أهل فلا بأس عليه إذا تركناه يجترُّ الثناء إلى مثل اليوم من الأسبوع القادم، وذاك أصح له، أخاف عليه التخمة، وأشفق عليه من عواقب الكظة، أما أبو جلدة ففي الوثاق. فإني وبالنجدة أولى، ولو كان الدكتور زكي مبارك يعرفه كما فهو إلى الغوث أحوج، فما هذا بيوم الكتب.» ولو كان الدكتور عرفته لصاح بي من كرم النفس: «اذهب إليه ولو كنت أنا في فلسطين طه يعرفه معرفتي لتمنى أن يكونه ولا يكون أوحد العلماء، حين كبَّلوه، لتسللت فدخلت في وثاقه وحللته عنه.

أي والله يا ناس، أبو جلدة خسارة! وإني لأكاد أنقم عليه من فرط الجزع، فقد كنت خروجه على حكومته لتكثر المادة عندي لرواية أكتبها عنه! ولكنه أرجو أن يطول إلا أن ينام!! سبحان الله العظيم! وهل هذا وقت وثق واطمأنَّ فأتي من مأمنه، وأبى روايتي؟! ويقول النبأ الذي جاءني النوم يا سيدي!! وماذا أصنع أنا الآن؟ وكيف أتم أوقن أنه كان يغطُّ ويشخر إنه كان نائمًا نومًا عميقًا هادئًا، ولكني أشك في ذلك، وأكاد ويحبط سعيي شخيرًا عاليًا سمعه الشرطة والجند فأقبلوا على أنغامه، لتفسد روايتي ويضيع عليَّ جهدي. وإذا لم يكن الأمر على ما أتصور، فأين ذهب الكلب الذي لم يفارقه؟ يكن

فقد كان لأبي جلدة كلب صغير، ولم يكن يتركه يغيب عنه لحظه، وكان إذا نام ربطه أو سير، فإذا لمح الكلب قادمًا تحرك، فيستيقظ النائم ويتناول بندقيته، إلى رسغه بخيط يتبيَّن، فإذا كان الطارئ من الأولياء، لم يصنع شيئًا، ويتربص وراء صخرة، حتى فيتطرح الواغل الثقيل إلى أقرب صخرة وإلا سدد البندقية إلى قلبه وشد الزناد، بصكة في صدره تنطبق فتدفعه عنها كارهة له، إلى أخرى تحتها، فترده الثانية عنها وتدليه لها أضلاعه، وتتلقاه الثالثة بلكمة في رأسه تفتت عظمه وتتناول الرابعة قدمه منها وتقول له ملاطفة معزية: «استرح يا صاحبي عندي لحظة، فقد أجهدك اللعب وتملَّ بالنظر إلى هذه الهاوية السحيقة، فإنها تبدو جميلة من هذا بين الصخور، حظه من الراحة، يشيع في نفسه الإحساس بجمال المرقب العالي.» وبعد أن يأخذ قلبه وصبوة فؤاده، فتخلي الوادي فيحن إلى قربه، وتشعر الصخرة العطوف بوجيب

جلدة يرنو رجله فيهوي إلى قاع الوادي، ويبقى هناك ناعمًا بالقرب والوصل، وأبو معجبًا ويتأمل مغتبطًا بما أعانه الله عليه من التوفيق.

وأبو جلدة رجل حذر، فكيف تأتّى أن ينام هذه النيمة العميقة التي لم يفتح منها عينه إلا القيد؟ ومن حذره ما حكوه من أن نفرًا من الشبان أعجب به، وافتتن بشجاعته على فكاهته، فأرادوا أن يلحقوا به ويخرجوا معه، فأبى وردّهم ردًا وحسن بلائه وحلاوة الأمر إذا كثر أتباعه، وأن يذيع سره فلا يبقى له أمن جميلًا؛ لأنه خشي أن يفشو عليه أو دعة.

ومن حذره أيضًا أنه اشتهى يومًا أن يأكل «الكنافة» وهي معروفة مشهورة، وأهل صنعتها، ونحن في مصر نصنعها ونتقنها، وأعني أهل بيتي أنا، وقد نابلس حذاق في لها وبراعتهم فيها، أن الناس يكونون مارين في — بلغ من إتقانهم — أي أهل بيتي المعجل ويقف المتمهّل، ويذهل الطريق فتسطع أنوفهم رائحتها المغرية فيتريث إليه من المكروب عن همه، وينسى الواجد وجده، ويَشْدَه الذي فقد ماله عما صار الفقر، وتتسلى التي ثكلت واحدها، وتراهم جميعًا قد اصطفّوا وحوّلوا أنوفهم إلى بيتنا، وجعلوا ينفخون صدورهم من قوة الشم وعظمه، ويقولون بعد أن يفرغوا نوافذ «!استعدادًا لشمة أخرى أعظم وأقوى: «الله صدورهم من الهواء

وأكون أنا ناظرًا إليهم من النافذة — فما أقوى على ترك الدار في يوم الكنافة مخافة والسطو — وأرى نشوتهم بأرج كنافتنا فأهز رأسي مسرورًا، وأقول: الهجوم «يا محرومون؟ «معذورون والله فكيف لو ذقتموها

!وأمضي إلى الباب فأحكم الرتاج

ولسنا نصنعها الآن؛ فقد مات أبي وأنا طفل وماتت أمي منذ عامين وبعض عام، أيضًا، فكل من في البيت حزين يلبس السواد ولا يطعم ومات صهري وحماتي، وأمره ولا نصنعها فلا يطمع أحد في الحلواء، وسيموت لي جيران ثقلاء بإذن الله أكلها عندنا.

ولكن كنافة نابلس فوق هذا كله. فتأمل! ولا قِبَلَ لي بوصفها، ولكني أقول إن كل معدة حين تجيء الكنافة النابلسية، بل مسام الجلد نفسها تتّسع جارحة فيك تنقلب بعيد محمولة في الصحفة الكبيرة، على أيدي وترحب وتصبح أفواهًا، فإذا أقبلت من و(كبروا)، ثم عكفوا عليها وهم كما الخدم، وثب الجالسون إلى أقدامهم ورفعوا أيديهم :يقول ابن الرومي

يأكلُ ما لا من كل شَحذان الحشا لهسمٍ كلّ مُغِدّ ساغِبٌ لاغبُ ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...
ذي معدةٍ ثعلبُها كلاهما في شأنه دائبُ فكّاهُ كالعصرين من دهرهِ يحسبُ الحاسبُ
لكن حُمى هضمِهِ صالبُ تعلوهُ حُمى شرهٍ نافضٍ وتارةً أرنبُها ضاغبُ لاحسٌ

والعداوات تستعر والخصومات تتفاقم على موائد الكنافة النابلسية، وما رأيت في ونابلس خاصة قومًا متحابّين جلسوا إليها إلا قاموا وهم ألدُّ الأعداء، فلسطين عامة وضعف ونقص في المروءة، وحماقة لا دواء لها، والكلام على مائدتها قلة أدب ولتمت بعد ذلك.» ولكن وبلاهة وقلة عقل، وعند أهل الغرب مثل يقول: «زر روما أهل فلسطين يقولون: «كل كنافة نابلس، ولتمت إذا شئت بعد ذلك.» يعني أن الذي .يأكلها يذوق لذات الحياة كلها فلا زيادة بعد ذلك لمستزيد

وأعود إلى أبي جلدة، فأقول إنه اشتهاها مرة — ومن ذا الذي لا يشتهيها! — وهو نابلس، فلقي في بعض الطريق رجلًا يعرفه ومعه ابنته، فكلفه أن يجيئه معتصم بجبال الفتاة، وقال لصاحبه: «هذه فتاتك معي، وسأكون على رأس بصينية منها، واستبقى «.منك ما يريبني، فسأذبحها تحت عينك الجبل أنظر، فإذا عدت ومعك أحد، أو بدا لي

«.وعاد الرجل بالكنافة، فقال له أبو جلدة: «دونك يا صاحبي، كل نصفها

وامتنع هو حتى أتى الرجل على النصف، وانتظر ساعة؛ فلما لم تظهر على الرجل .يده فالتهم الباقي أعراض التسمم، دفع

وباعة الصحف في فلسطين يسمونه «الملك أبو جلدة»؛ لأن الحكومة عجزت عنه، شتى كبيرة فما صنعت شيئًا ولا نالت منه منالًا؛ لأن منطقة وقد سيرت عليه قوات جانب الجبل، والجبال الأخرى تشرف نابلس جبلية وعرة، والطريق يكون على والشرطة يرابطون عليه، ففي وسع فئة قليلة أن ترد جيشًا لجبًا، وكنا نرى الجنود عند مداخل المنطقة ولا يجرءون أن يتوغلوا فيها، وكانوا لما وقع في قلوبهم من رهبة أبي جلدة، يفزعهم كل صوت مباغت، وما أكثر ما كنا نراهم مختبئين وراء المداخل — وخيلهم مشدودة على جانب الطريق، فما يدرون الصخور — حتى عند له. ولم يكن أبو جلدة يسيء إلى ما يصيبهم من أبي جلدة إذا تعرضوا وانكشفوا عليه ويكتمون الأهالي، وإنما كان خروجه على الحكومة، وكان الأهالي لهذا يعطفون ما يعلمون من أمره، وكان هو يركب الشرطة بالدعابة العملية، فيبعث بالكتب إلى الشرطة يتحدّاهم أن يخرجوا للقبض عليه، وحدث مرة أن كان نفر من رؤساء مخفر، وكان الضابط جالسًا إلى مكتبه في الغرفة، الشرطة عليهم ضابط مرابطين في أبي جلدة وصاحبه لهم فقال: والرجال بسلاحهم على الطريق، فما راعهم إلا ظهور «.«لا تخافوا فأنتم في حماي، هاتوا هذا السلاح

وناول صاحبه السلاح وتركه معهم ودخل على الضابط وقال وهو يسدد إليه البندقية: «.«ارفع يديك

:وجرده وأوثقه وتناول السماعة، وطلب رئيس الشرطة، فجرى بينهما حديث كهذا

.السلام عليكم –

– عليكم السلام. من؟

– مخفر البوليس.

– هل جد شيء؟

– نعم.

– ماذا؟

– أبو جلدة في المخفر.

– إيه ...؟ تقول إيه ...؟

– أبو جلدة في المخفر.

– قبضتم عليه؟! سأحضر حالًا.

– لا. لم نقبض عليه.

– سأحضر حالًا بقوة كبيرة.

– هو قبض علينا.

– إيه..؟ ماذا تقول؟

– أقول إن أبا جلدة قبض على المخفر.

– كيف؟ أنت مجنون ...

– لا، بل أنا أبو جلدة.

– يا خبر أسود ...

– السلام عليكم.

وكان كفه الأذى عن الناس، واقتصاره على مناوأة الحكومة، وفكاهته، وشجاعته ذلك كان يحبّبه إلى أهل فلسطين، ويجعله في نظرهم أشبه وحسن تدبيره، كل في القرون الوسطى في إنجلترا، ولو «روبين هود» ذلك الخارج العظيم الذي اشتهر هارب من القانون طال عهد خروجه ولم يقبض عليه، لتحول شيئًا فشيئًا، من شقي إلى وطني متمرد على حكم أجنبي، وكانت عناية الصحف به وتلوينها أخباره بهذا اللون، كفيلة بأن تحدث هذا التحول؛ لأنه كان مواظبًا على قراءتها، لا يفوته منها

هذا التحول لكان حادثًا يذكر في تاريخ الحركة الوطنية في فلسطين، شيء، ولو تم وأترقبه، من أجل روايتي، ولكنه شاء أن ينام، ولو أنه مات وهذا ما كنت أتطلع إليه هذا!! فأنا لذلك عاتب عليه متعجب له، ولولا حبي أو قتل لعذرته، ولكنه نام!! تصور ولعنت. وقد كنت أفكر في له وأنسي بالتفكير في شخصيته لنقمت عليه وسخطت ولا زيارة أخرى لفلسطين لعلي أستطيع أن ألقاه وأجالسه وأحادثه، فالآن لا لقاء !حديث؟ لأنه نام، بففف

والاعتقال خاتمة لا أكتم أبا جلدة أنها لا تعجبني، ولا تليق به، ولا تصلح لروايتي، إذا رفضت هذا المصير، ولم أعترف به في الرواية، وإذا كان لا يروقه فليعذرني له إن النوم يجمل به؟ اختراعي فالذنب له. ومن قال

أبو جلدة الذي فرّ من خدمة الدول العثمانيّة، يبدو بالفطرة عاشقاً للحريّة، وقمم الجبال، ناقماً على الظلم. اسمه أحمد المحمود من قرية (طّمون)، وهي من قرى نابلس. اشتغل في ميناء حيفا عتّالاً، وهناك تعرّف بأوفى صحبه، ومنهم اختار رجاله للثورة على الانتداب البريطاني الذي ما أن هيمن على فلسطين حتى بدأت عمليات تسريب اليهود إلى فلسطين تتزايد باضطراد، بالترافق مع تسريب الأرض لهم، وتدمير حياة الفلاحين الفلسطينيين بالضرائب الباهظة.

تعرّف أبو جلدة بالرجل المتعلّم المثقف سليمان العامري وتأثر به، واستمع لخطب الشيخ عز الدين القسّام في مسجد الاستقلال، وعايش مأساة أهالي قرى مرج بن عامر والأرض التي باعها إقطاعيون من خارج فلسطين، وطرد منها سكّانها، فحقد على السماسرة، وعلى الصهاينة، وازداد كرهه للإنكليز أصل البلاء في كّل ما يصيب أهالي فلسطين، وبخّاصة الفلاحين.

لم ترحم عصابة (أبو جلدة) الفلسطينيين الذين اثروا في العهد العثماني، والذين أرهقوا الفلاّحين حتى عجزوا عن سداد ديونهم واضطرّوهم للتنازل عن أرضهم.

هؤلاء وضعهم أبو جلدة ورجاله في صّف الإنكليز والصهاينة، ووجهوا لهم ضربات قاسية في منطقة (جنين) خّاصة، ووصلوا إلى ممتلكاتهم، وإليهم شخصيّاً، رغم حماية مستر طومسون رئيس شرطة جنين لهم.

الشاعر الكبير هارون هاشم رشيد ذكّر في هذا العمل الأدبي الحكائي السلس والممتع، القريب من القص الشفوي، بالمعارك التي خاضتها عصابة (أبو جلدة)، ودهاء الرجل في التخطيط للكمائن المباغتة للقوات البريطانية.

الإنكليز أطلقوا اسم (طريق الحراميّة)، على طريق حيفا مرج بن عامر، الذي اختاره أبو جلدة لنشاطه ورجاله، مستغلاً منعة جبال المنطقة بكهوفها ومغاورها، وباغت القوّات البريطانية بالكمائن واستولى على بعض أسلحتها..

(الحرامية) هم أصحاب البلاد الذين يثورون لنيل حريّتهم، وطرد محتليهم القادمين من وراء البحار، الذين يمنحون المتسربين اليهود الذين تستجلبهم الحركة الصهيونيّة بالتواطؤ مع الانتداب البريطاني ليحتلّوا بلاداً ليست لهم!.

هؤلاء حراميّة وعصاة وأشقياء! و..من يقاومون اليوم هم إرهابيون!.. هذا هو منطق بريطانيا الاستعمارية، وأمريكا الإمبرياليّة، وكلتاهما سبب مصائب فلسطين وشعبها.. وهذا ما لا يجب أن يغيب عن كعرب.

في مذكرات نجاتي صدقي، يخبرنا أن (العرميط) طلب من أمّه أن تحضر معها خنجراً في الزيارة القادمة لأنه سيضعه معه في قبره، وسيذبح به الخائن الذي وشى به!

وفي خاتمة الحكاية كما رواها الأستاذ هارون، مشهد شنق البطل أبو جلدة الـذي تقدّم إلى حبل المشنقة غير هيّاب ولا وجل..

وتكون آخر كلماته: بخاطركم يا شباب.. فلسطين أمانة في أعنـاقكم.. إيّـاكم أن تفرطوا في حبّة رمل من أرض فلسطين..

وحتى لا يكون تفريط، ولا تنسى الذاكرة، كتب الـشاعر هـارون هاشـم رشـيد الحكاية، بالضبط في هذا الوقت الذي تشتّد فيه المؤامرات علـى مقاومـة عـرب فلسطين، وعلى حقّ العودة إلى فلسطين..

الإنكليز المتصهينين: تعرفنا في السجن إلى رجلين أشغلا حكومة الانتداب مدة طويلة في حرب العصابات، وهما أبو جلدة والعرميط..

لقد ألّف هذان الفلاّحان عصابة لمحاربة الدولة المنتدبة، مثل كثير من العصابات المنتشرة في البلاد، والمؤلفة غالباً من الفلاحين الذين باتوا بلا أرض أو عمل.

لقد برز هذا الثائران إثر ثورة ١٩٣٠، وألّفا عصابة اتخذت من الجبال مجالاً لأعمالها، واصطدمت مع القوات البريطانيّة في غير معركة، وقد أراد زعيمها أبو جلدة ،وهو رجل نحيل الجسم، قصير القامة، أن يبعد عنه وعن رجاله تهمة الشقاوة، فارتدى لباساً عسكريّاً، وقد زيّن كتفيه بسيفين وثلاثة نجوم، وجّر سيفاً صقيلاً طويلا له يد مذهّبة.

وماذا عن العرميط الصديق والتابع المخلص الأمين لأبي جلدة؟!

يصفه نجاتي صدقي كما عرفه في السجن: رجل قوي البنية، شديد البأس، عيّنه أبو جلدة نائباً له مطلق الصلاحيات.

نصف صفحة من مذكرات نجاتي صدقي حفظت ذكر ومواصفات هذين البطلين الشعبيين، لكن...

لكن الشاعر الكبير هارون هاشم رشيد، رأى أن يعيد هذين البطلين إلى الحياة بعد أن ماتا وشبعا موتاً في عمل أدبي ينصفهما ويصون ذكرهما للأجيال، فألّف عنهما كتاباً عنوانه (أبو جلدة والعرميط) وتحت العنوان بخّط ناعم: ياما كسّرا برانيط، وبخّط عمودي نقرأ كلماته من فوق لتحت: حكاية حقيقيّة من بطولات المقاومة الشعبيّة الفلسطينيّة. (صدر عن دار مجدلاوي في عمّان).

أمّا البرانيط فهي جمع برنيطة، وهي غطاء الرأس الذي كان يستعمله الجنود البريطانيون، وتكسير البرانيط هو كناية عن تكسير الرؤوس، وهذا العنوان هو مطلع أهزوجة شعبيّة فلسطينيّة سادت في الثلاثينات، وتناقلتها أجيال الأجداد والآباء، وبهتت أصداؤها، وها هوذا صاحب (سنرجع يوماً إلى حيّنا) التي شدت بها الفنّانة الكبيرة فيروز، يعيدها للذاكرة، فكفاح عرب فلسطين لم ينقطع على مدى القرن العشرين وهو مفتوح على عقود هذا القرن الحادي والعشرين، حتى يعود الفلسطينيون إلى وطنهم،وتعود فلسطين لأهلها الأوفياء الصابرين المتشبثين بحقهم.

يصف كتابه بالحكاية هارون، وينأى بنفسه عن وصف ما يكتبه بالرواية ، لأنه معني بتدوين نّص أدبي دون تصنيف محدد، يحفظ فصلاً من فصول نضال الشعب الفسطيني، ويعيد ذكرى نفر من أبطاله، أولئك الذين لم يتيسر لهم كتابة تجاربهم، وتقديم شهاداتهم.

رشاد أبو شاور / روائي وناقد من فلسطين المحتلة يقيم في الأردن

أبو جلدة والعرميط

ياما كسّروا برانيط

أبو جلدة والعرميط بطلان شعبيان فلسطينيّان، قاوما الإنكليز، ومع من التحقوا بهما من فلاّحي فلسطين، أوقعوا بقوّات الاحتلال البريطانيّة الانتدابيّة خسائر فادحة.

لهما غنّت النسوة في الأعراس، وارتجل المنشدون الشعبيون الأهازيج ، وسرت سيرتهما في كّل فلسطين، حتى باتا شخصيتين خارقتين بأعمال حدثت،يبالغ بها أحياناً.

الانتداب البريطاني حاول تشويههما، وصوّرهما كقاطعي طريق شقيين،وألصق بهما أعمالاً لا تنسجم مع شهامتهما، وأخلاقهما التي ورثاها من أسرتيهما الفلاّحيتين، ومن تدينهما الفطري، ومن تأثرهما بدعوة الشيخ عّز الدين القسّام الذي سمعاه يخطب في مسجد الاستقلال بحيفا.

فيزيائيّاً كانا شبيهي دون كيخوت وسانشو، فهما واحد نحيل قصير،وصاحبه الذي يمكن وصفه بتابعه ،ضخم وطويل و..يثق بمعلمه وقائده ويسلّم له أمره.

كان اسم أبو جلدة مثار رعب لجنود الإنكليز، وكبار جنرالاتهم، وللتابعين محليّاً لهم، فهو يضرب ويختفي، ولا يترك أثراً، ولذلك زرعت عيون لمتابعته، فالعسس والمخبرون وجدوا في كل زمان ومكان، وأجّروا أنفسهم للمحتلين، والأعداء، ولكّل من يدفع لهم.. هؤلاء كرههم هو وصاحبه، وترصدوهم، وسددوا لهم ضربات قاصمة، لجعلهم عبراً يعتبر بها غيرهم من عديمي الضمائر، ولمضاعفة ثقة الناس بهذين البطلين، وما يمثلانه.

وأنا صغير سمعت بقايا ذكر لهما، ثمّ بهت حضورهما وشحب في الذاكرة الجمعية الفلسطينيّة، فهما لم يكونا من أبناء العوائل الكبيرة، ولم يتركا مذكراتهما، ولم يكتب عنها سوى كلام عابر كبطلين شعبيين متواضعي الوعي والأهميّة.

من جديد أحياهما كاتب، وقاص، وصاحب تجربة عريضة هو: نجاتي صدقي، في مذكراته التي استخرجها من عتمة النسيان الأستاذ الشاعر حنا أبوحنا ،وصدرت عن مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة في بيروت عام٢٠٠١.

في السجن التقاهما نجاتي صدقي، فانظر كيف يصفهما بكلام قليل، ينصفهما، ويمسح عن سيرتهما بعض من لحق بها من تشويه متعمّد من حكّام فلسطين

جلدة إلى بلدة نواة خلية ثورية لمقاومة الإنتداب البريطاني في فلسطين. وتعود جذور أبو أبو جلدة والعرميط فلاحان فلسطينيان أسسا نابلس. وقد ولد صالح أحمد مصطفى العرميط في بلدة بيتا نهاية الحكم طمون شرقي نابلس، بينما رفيقه أبو العرميط من قرية بيتا جنوب الصغر وكان يُعد الأقوى بين أبناء جيله وأقرانه العثماني لفلسطين، وكان وحيداً لوالديه وعُرف بنشاطه وحيويته وجرأته مُنذ.

وصفه صدقي ذو بأس وقوة. وكان يعمل بالزراعة والفلاحة كسائر عائلته وأهل بلدته. وقد من ناحية فيزيائية للعرميط جسم ممتلئ متين "نائباً له مُطلق الصلاحيات نجاتي في مذكراته: "رجل قوي البنية، شديد البأس، عينه أبو جلدة.

من هو" الفراري" أبو جلدة

ميناء حيفا، وهناك النابلسية فرّ من الخدمة العسكرية في الدولة العثمانيّة، وعمل عتالاً في أبو جلدة هو أحمد المحمود من قرية طمون الانتداب البريطاني الذي ما أن سيطر على فلسطين حتى بدأت عمليات الاستيطان تعرّف بأوفى أصدقائه، ورافقهم في رحلة الثورة على وتدمير حياة الفلاحين الفلسطينيين بالضرائب الباهظة وقدوم اليهود إلى فلسطين تتزايد باضطراد، بالترافق مع تسريب الأرض لهم،.

الإستقلال، وعايش سليمان العامري وتأثر به، واستمع لخطب الشيخ عز الدين القسّام في مسجد تعرّف أبو جلدة بالرجل المتعلم المثقف من خارج فلسطين، وطرد منها سكانها، فحقد على السماسرة، وعلى مأساة أهالي قرى مرج بن عامر والأرض التي باعها إقطاعيون الفلاحين وازداد كرهه للإنجليز أصل البلاء في كل ما يصيب أهالي فلسطين، وبخاصة الصهاينة،.

لباساً الجسم، قصير القامة، ومن أجل أن يبعد عنه وعن رجاله تهمة الشقاوة ارتدى يصف نجاتي صدقي أبو جلدة بأنه رجل نحيل طويلاً له يد مذهّبة عسكريّاً، وقد زيّن كتفيه بسيفين وثلاثة نجوم، وجّر سيفاً صقيلاً.

العرميط يشرب شاي الضابط البريطاني

مقاومة الإنتداب برفيقه وصديقه أبو جلدة وشرعا في أوائل الثلاثينات بتشكيل أولى حركات مع نهاية العشرينات التحق صالح العرميط الحركات التي ألحقت أضراراً بالغة في قوات الإنتداب، كما أن "عصابة" البريطاني في فلسطين. وكانت "عصابة أبو جلدة" من أقوى أرهقوا الفلاحين حتى عجزوا عن سداد ديونهم جلدة لم ترحم الفلسطينيين الذين ازدادت ثرواتهم في العهد العثماني، والذين أبو قاسية في منطقة هؤلاء وضعهم أبو جلدة ورجاله في صّف الإنكليز والصهاينة، ووجهوا لهم ضربات .واضطرّوهم للتنازل عن أرضهم حماية مستر طومسون رئيس شرطة جنين لهم (جنين) خاصة، ووصلوا إلى ممتلكاتهم، وإليهم شخصيّاً، رغم.

يترك أثراً، ولذلك الإنجليز، وكبار جنرالاتهم، وللتابعين محليّاً لهم، فهو يضرب ويختفي، ولا كما كان اسم أبو جلدة مثار رعب لجنود ومكان، وأجّروا أنفسهم للمحتلين، والأعداء، ولكل من يدفع لهم.. زرعت عيون لمتابعته، فالعسس والمخبرون وجدوا في كل زمان بها غيرهم من عديمي الضمائر، كرههم هو وصاحبه، وترصدوا لهم، وسددوا لهم ضربات قاصمة، لجعلهم عبرةً يعتبر هؤلاء يمثلانه ولمضاعفة ثقة الناس بهذين البطلين، وما.

مقابل تسليم رفيقه البريطانيين في نابلس إلى محاولة استمالة العرميط وإغرائه بالعفو العام هذا الإصرار غير المسبوق استدعى الضباط سليم حسن عديلي) إحضاره لمبنى الكشله بنابلس للمقابلة وفق ضمانات ) أبو جلدة وإرشادهم إلى مكان وجوده، حيث طلب من خاله عنه للافراج.

فامتنع عن شُربه ولما الخروج وكي لا يُغدر به ويتم اعتقاله، ومن ذكائه أنهم قدموا له الشاي وقد ماطل العرميط بالإجابة ليتمكن من فشل الضباط في استمالة العرميط أو الوصول إلى أبو جلدة بدأوا في نشر أصروا أخذ الكوب الذي قدم للضابط البريطاني. وعندما عصابتهم، وتبليغ مركز الشرطة عن أي أدلة أو الإشاعات التي تقول بأنهم لصوص وأشقياء وقطاع طرق وعلى الناس الحذر من قائد تلك العصابة معلومات تفيد في الوصول إلى.

العرميط والصلاحيات المطلقة

يكن العرميط العرميط بمنصب النائب ذي الصلاحيات المطلقة والعين الحارسة لأبو جلدة، ولم وفقاً للروايات الشفوية الشعبية تمتع يتم تداولها عن مدى إخلاص العرميط لرفيقه أن الانتداب بحاجة إلى مراجعة أبو جلدة قبل قتل الجواسيس. ومن القصص التي وبعد شهرين من رفقته لهم حيث تعاملوا معه .البدو ليلحق بأبو جلدة ثمّ يقوم بقتله أو تسليمه عندما تحين له الفرصة البريطانيّ جنّد أحد رفيقه الجميع وحاول الغدر بأبو جلده أثناء نومه، فانتبه العرميط للمؤامرة فأنقذ كواحد منهم ، استغل هذا الرجل نوم.

لهم الكمائن بريطانيا من ملاحقتها لـ"عصابة" أبو جلدة وجندت العملاء للوشاية بهم، ونصبت مع فشل البدويّ في اغتيال أبو جلدة كثفت بوليس في عدة مناطق منها مخفر البوليس في قرية عقربا وبذلت كل الوسائل للامساك بهم، ويضاف إلى ذلك إنشاء مراكز.

طريق الحرامية

بين الشمال الذي يحيط بهم فعمدوا إلى تغيير أماكن تواجدهم باستمرار والتنقل الدائم أبو جلدة ورفاقه كانوا على وعي كافٍ للخطر وكانوا في الصيف يختبئون في خربة يانون شمال عقربا والجنوب فمكثوا في غور عقربا بين فصايل والجفتلك مدة طويلة.

# "أبو جلدة والعرميط، ابطال ياما كسروا برانيط"

حكايات البنادق ،تقارير خاصة ،أهم العناوين | يوليو، ٢٠١٣ 25 | علا التميمي

ويسممون الدين القسام عن رأيه في أهل الشعراوية في جبل نابلس، الذين يقطعون الأشجار في عام ١٩٣٢، حينما سئل الشيخ عزّ يعملون لأن في عملهم رجولة سنحولها في يوم من الأيام إلى جهاد، الحيوانات وينعتهم الناس بالحرامية وقطاع الطرق، فأجاب: دعهم ."من المستكينين المستعمر يرغب في إماتة نفوسنا، فإن هؤلاء أقرب إلى الله، وإلى حب الجهاد وما دام

أحدهم: وجدتها.. لقد بينما كان ركس "مدير بوليس القدس" يلهينا بأحاديثه التافهة، إلى أن صاح وراح البوليس اليافي يفتش الغرفة....." المدسوسة هي التهمة "الحسية" الوحيدة لاستصدار أمر بالتوقيف والإحالة إلى عثرت على مناشير تحت الفراش. وكانت هذه المناشير حكم قاس بحقنا. فالمتهمون بحيازة المناشير السرية المحكمة، غير أن هذه التهمة بحد ذاتها غير كافية لحمل المحكمة على إصدار ."من ثلاثة إلى ستة أشهر وتوزيعها يحكمون بالسجن

، 1931 الفلسطيني نجاتي صدقي (١٩٠٥-١٩٧٩) والذي اعتقل في تشرين الثاني من العام الحادثة السابقة مقتبسة من مذكرات الثائر الخامس من مذكراته يروي نجاتي ظروف اعتقاله في عقب مشاركته في إحدى اجتماعات الحزب الشيوعي في فلسطين. في الفصل الشخصيات التي سببوا الأرق مساحة لم تتجاوز النصف صفحة يكتب عن تعرفه على شخصيتين من أهم سجن القدس المركزي. وفي .الدائم لحكومة الإنتداب الفلسطيني

مقاومة المغيبتان بطريقة أو بأخرى عن أشهر وأبرز روايات التاريخ الفلسطيني في أبو جلدة" و "العرامبط" تلكما الشخصيتان" وأنت تقرأ أن مقولة القسام أعلاه تنطبق عليهما بحذافيرها. يضاف الاحتلال. ينقل لنا صدقي جزءاً بسيطاً من روايتهما ولا يساورك شك إلى الحياة في كتاب عنوانه "أبو جلدة نجاتي صدقي ما كتبه الشاعر هارون هاشم رشيد، والذي أعاد سيرة هذين البطلين إلى ما كتبه ."حقيقيّة من بطولات المقاومة الشعبيّة الفلسطينيّة والعرميط: ياما كسّرا برانيط، حكاية

"زعران ياما كسروا برانيط "أبو جلدة والعرميط

اللقب جرائم وسوابق أو ما يحب أن يطلق عليه الفلسطينيون أحياناً لقب "زعران" وهو قد تبدو الألقاب السابقة وكأنها تخص أصحاب وصوّرهما كقاطعي طريق شقيين، والصق بهما أعمالاً لا تنسجم مع الذي يتماشى مع رواية الانتداب البريطاني الذي حاول تشويههما، عزّ الدين القسّام عقب سماعهما إحدى خطبه في وأخلاقهما التي ورثاها من أسرتيهما الفلاحيتين ،ومن تأثرهما بدعوة الشيخ شهامتهما، .مسجد الإستقلال في حيفا

والمأوى والمبيت، وذلك المساعدة والعون من قبل الفلاحين، وكانوا يقدمون لهم الطعام والشراب وقد وجد أبو جلدة والعرميط ورفاقهما البريطانيون من مقاومة الإحتلال، وقد كان موقف الفلاحين موقفاً مغايراً لما أراده تقديراً لهما على شجاعتهما ومواقفهما المشرفة في الطريق وما كان ل "عصابة" أبو جلدة إلا أن ازدادت شهرة وقوة بسبب خلال نشرهم الإشاعات بأن أبو جلدة قائد عصابة سرقة وقطع توزعت عملياتهم بين الغور وجنين ومرج ابن عامر الفلاحين الذي كان أثره واضحاً بازدياد العمليات التي نفذتها "العصابة" حيث دعم .القادمين لفلسطين حيث توجهت "العصابة" بقيادة أبو جلدة والعرميط هناك لمقاومة اليهود و منطقة الحولة وما حولها

أعماله على طريق حيفا- مرج بن عامر وهو الطريق الذي اختاره أبو جلدة لانطلاق "وقد أطلق البريطانيون اسم "طريق الحرامية .الاستراتيجي لمباغتة القوات البريطانية والاستيلاء على أسلحتها الفدائية، مستغلاً جبال المنطقة بكهوفها ومغاورها، وموقعها

.الإعدام

(البطلان عند المسكوبية (المبنى الروسي في القدس

معه في قبره، العرميط) طلب من أمّه أن تحضر معها خنجراً في الزيارة القادمة لأنه سيضعه) في مذكرات نجاتي صدقي، يخبرنا أن الذي تقدم إلى حبل المشنقة غير آبه بالضباط البريطانيين "بخاطركم يا وسيذبح به الخائن الذي وشى به! بينما كانت آخر كلمات أبو جلدة ."فلسطين شباب.. فلسطين أمانة في أعناقكم.. إيّاكم أن تفرطوا في حبّة رمل من أرض

:على الأقل لا زال أبو جلدة والعرميط جزءاً من الأهازيج الشعبية الفلسطينية والتي تقول إحداها

قال أبو جلدة وأنا الطموني ... كل الأعادي ما بهموني

قال أبو جلدة وأنتا العرميطي .. وأنا إن متت بكفيني صيتي

قال أبو جلدة يا خويا صالح . اضرب لا تخطي والعمر رايح

قال أبو جلدة وأنا العرميطي ... والله من حكم الدولة لفظي

وأبو جلدة ماشي لحاله.. والعرميط راس ماله

وأبو جلده والعرميط .. ياما كسروا برانيط

يوماً نزيه أبو نضال حين العائلات البرجوازية الكبيرة ليكتبا مذكراتهما وبطولاتهما، فهما كما قال أبو جلدة والعرميط لم يكونا من أبناء نضالاً، وأقلهم القساميّين لثورة ٣٦-٣٩ "يعرف القسّاميون بأنهم كانوا أكثر المناضلين كتب عن خليل محمد عيسى عجّاك أحد القادة ."بحثاً عن أخبارهم وأعمالهم كما يبحث الغواصون عن اللؤلؤ كلاماً، وقد تركوا للباحثين أن يغرقوا في بحار التاريخ